

# القضية الفلسطينية من أولويات المرجعية الدينية الشيعية والفكر العاشورائي

الكاتب اللبناني الدكتور حسان الزين للوفاق



وأهم محاوريتها هي الإمام الحسينؑ وهذا يعتبر من أهم العوامل الدينية التي تمكننا من دراستها وكيف استطاع الفكر الشيعي والفكر المقاوم أن يجعل منظومته الدينية في نصرة المظلومين على مستوى العالم الإسلامي بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية وهذا قليل جداً في التاريخ، فقد تعاون الدول نتيجة مصالح سياسية أو اقتصادية قد تتعاون نتيجة مصالح مالية لكن الفكر الشيعي والمجتمع الشيعي يدفع الثمن غالباً كغيره من سائر المسلمين ولكن بحصة أكبر في مواجهة العدو وبسبب مصداقية مرجعيته وبسبب تماسك فعله مع قوله وبسبب هذه المنظومة الفكرية التي أشعت نورا في عالمنا العربي والإسلامي والإنساني.

من هنا تنطق الأمور وفق الدكتور الزين بأن المقاومة خير مطلق وبأن إسرائيل شر مطلق وهما خيطان متوازيان لا يلتقيان لا في الأرض ولا في السماء لأن المقاومة خط الله المستقيم والثاني شر وشيطان ونار وجحيم على أمتنا العربية والإسلامية.

وختاماً يلفت الدكتور الزين بأنه يطول الحديث عن المرجعيات الشيعية والعلماء الشيعة الذين ناضلوا من أجل القضية الفلسطينية وضحوا لأجلها ولا يمكن اختصاره بمقال أو كتاب إنما الحقيقة أنه يتوجب القيام بدراسة موسعة مكثفة حول الكثير من الأقوال والأفعال والمواقف، ولكن في هذه المقالة قدما لمحة عامة حول هذا الموضوع، إذ أن المرجعيات الدينية وخاصة في مدينة النجف الأشرف ومدينة قم المقدسة تُمثّلان الركن والحضن الأساسي للثورة الفلسطينية بمعناها العام وليس بمعناها الخاص وهي تمثل العمود الفقري لمقاومة الاحتلال الصهيوني بحيث أن كل الأحزاب المقاومة مرجعيتها الأساسية المرجعيات الدينية في مدينة قم المقدسة ومدينة النجف الأشرف وبالتالي يمكن القول بأن قيادة الإمام الخامنئي(حفظه الله) وآية الله السيد علي السيستاني تُمثّلان جناح الملائكة الذي يحمي المقاومين ويقدم لهم الإرشادات ولن يتخلوا عن القضية الفلسطينية وهذا ما أشار إليه في خطاب له السيد حسن نصر الله(حفظه الله) عندما قال: "نحن شيعة علي لن نتخل عن فلسطين"، هذا الخطاب هو امتداد لمقولات المرجعيات الدينية الشيعية الرشيدة والفعالة والمخصة، لذلك أحد أهم أعمدة فلسطين والقدس هي المرجعية الدينية الشيعية وبالتالي المرجعية الشيعية برجالاتها وكيانها ومنظومتها الفكرية والتي يمثل الإمام الحسينؑ فيها كل شيء، فكل ما لدينا من عاشوراء ومن منظومتها الفكرية.

المصدر: عبير شمس، الوفاق

الصدر في فترات متباعدة وكان لديهم الموقف نفسه بالنسبة لبعض الأحزاب الفلسطينية التي كانت تمارس العمل السياسي والعمل المسلح فقط من أجل مكاسب دنيوية أو من أجل مكاسب جزئية أو في سبيل مساموات وبيع وشراء.

■ **المرجعية دعمت فلسطين قولاً وعملاً**  
في العمل والفكر المقاوم يذكر الدكتور الزين على سبيل المثال بعض الأمثلة التي تؤكد فيها على أن المرجعية الدينية الشيعية هي مرجعية كبرى لها تاريخ واضح في مساندة الفلسطينيين بغض النظر عن انتماءها المذهبي، فكانت الأقوال الكثيرة والتي لا يمكن أن تحصى من المرجعيات الدينية الشيعية ومن الفتاوى الواضحة التي كانت تنتقل بين مدينة قم المقدسة ومدينة النجف الأشرف بين كثير من العلماء والمرجع الشيعية وخاصة على رأسهم السيد الخوئيؑ، والإمام الخمينيؑ الذي كان يمثل السيد الصدر الواجحة له في لبنان، من هذه الأمثلة يقول آية الله حسين نور همداني في خطبة له بأن السيد الصدر أول من أطلق شعار "بالروح بالدم نفديك يا قدس" هذا الشعار كان يُطلق في حسبيات بيروت وغيرها في حشد جماهيري ديني، وربطت المرجعيات الدينية الشيعية قضية فلسطين والقدس بالقضية الحسينية فاعتبرت بأن نصرة الإمام الحسينؑ هي من نصرة فلسطين ونصرة فلسطين من نصرة الإمام الحسينؑ، ويعتبر أهم عامل ديني حينما تربط المنظومة العملائية أو المصاديق العملائية والسياسية بأهم المحتلة تعتبر من أهم العناصر في بلورة الفكر المقاوم بالتالي في العمل المقاوم وحضارتنا وأنها شر مطلق وخطر على العرب مسلميه ومسيحييه وعلى الحرية والكرامة ومكافحتها خير مطلق، لذلك صياغة الأهداف الرئيسية في مواجهة العدو الصهيوني كانت وفق منطلقات دينية فلسفية لها نظرتها الشمولية في عملية الإصلاح والثورة أهم عناصرها

■ **الحركة الحسينية العمود الفقري لمواجهة العدو الصهيوني**  
المنظومة الفكرية التي يمثلها السيد الصدر ويمثلها الإمام الخمينيؑ، والآل يمثلها الإمام الخامنئي(حفظه الله) وآية الله السيد علي السيستاني في توجهاته والتي تعتبر أن العدو الصهيوني خطراً كبيراً على الشرق والغرب وعلى قيمنا وحضارتنا وأنها شر مطلق وخطر على العرب مسلميه ومسيحييه وعلى الحرية والكرامة ومكافحتها خير مطلق، لذلك صياغة الأهداف الرئيسية في مواجهة العدو الصهيوني كانت وفق منطلقات دينية فلسفية لها نظرتها الشمولية في عملية الإصلاح والثورة أهم عناصرها

فكان الشيعة عبر التاريخ فكراً حراً طليقاً يواجهون المنظومات السياسية الظالمة ويدفعون الأثمان الباهظة على أقلها الأموال والدماء وحياتهم والتشريد، فتركت العديد من الوقائع الموجودة بعد حادثة عاشوراء تأثيراتها عبر الجغرافيا ومنها ما هو معروف في جبل عامل، فتاريخ لبنان من أقصاه من طرابلس شمالاً حتى جبل عامل جنوباً على الحدود مع فلسطين وحتى داخلها لأن التاريخ والجغرافيا والمجتمع لم يكونا مقسمين كما هي الحال الآن. فالمجتمع الشيعي كان متمدداً عبر الجغرافيا اللبنانية المتعارف عليها حتى وصلت إلى دولة الحمدانيين في حلب ووصلت إلى صغد داخل فلسطين المحتلة، هذه المنظومة الفكرية كان لها تأثير واسع على مجريات التاريخ في القرن العشرين، فكان الشيعة في ظل الحكم العثماني من أهم معارضي هذا الحكم، ويذكر التاريخ ما فعله جمال باشا السفاح بالعالميين من تنكيل وقتل وتشريد في البلدان والأمصار وقد بقيت أفران مدينة عكا مشتتة لمدة سبعة أيام وهي تلتهم كتب العلماء العالميين، بسبب حملهم فكراً ثورياً مقاوماً، ومن بعده جاء الاستعمار الفرنسي الذي كان للشيعة في جبل عامل دور أساسي في محاربتهم ومع وجود السيد "عبد الحسين شرف الدين والسيد "محسن الأمين" وقدم السيد "موسى الصدر" وعشرات المجاهدين أمثال الشيخ "محمد مغنية" و"حسن مغنية" وغيرهم من العلماء الأطهار الذين كانوا يعارضون الحكم العثماني أولاً وما يسمى بالانتداب الفرنسي أي الاستعمار الفرنسي ثانياً.

■ **الفكر المقاوم ولبد الثورة الحسينية العاشورائية**  
نحن نتكلم عن جغرافيا لبنان، يقول الدكتور الزين: "أما جغرافيا العراق فقد كان لها تأثير واضح بالنسبة للاستعمار البريطاني والجمهورية الإسلامية في إيران أو ما يعرف ببلاد فارس سابقاً، إذ كان هناك تأثير واضح للمرجعية الدينية، والتي انطلقت من مفاهيمها من القضية الفلسطينية في المنظومة الفكرية الحسينية، من مفهوم المظلومية التي تحدثنا عنها وفلسفة واستراتيجية إنصاف المظلوم حتى ولو لم يكن على مذهبك أو لو لم يعتنق مبادئك ولكن شكّلت نصرة المظلوم أهم شعار أطلقه المرجع الشيعية في مدينة قم المقدسة ومدينة النجف الأشرف وفي لبنان الذي كان يمثل الواجحة المباشرة والامتداد المباشر للمرجعية، يذكر الأستاذ الزين بعض الحوادث المهمة وبعض العناصر المهم في التاريخ في القرن الماضي للتأكيد على أن الفكر المقاوم ليس وليد لحركة معينة أو تنظيم معين وحزب معين بل هو امتداد لمرجعيات دينية ومرجعيات فقهية تمحورت الآن بقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وما مثله الإمام الخمينيؑ، مفجر الثورة والفأد الذي ألهم الكثير من الثوار والأحرار وكان هذا السد المنيع الذي كان يمثله والنهر الجارف الذي كان يصب في شحظه وهو تمثيل لكل المرجعيات الدينية الشيعية على رأس دولة مهمة كالجمهورية الإسلامية في إيران.

■ **مواجهة العلماء الشيعة للاستعمار الأجنبي**  
ففي القرن الماضي كان في لبنان على سبيل المثال السيد "عبد الحسين شرف الدين" وما كان يمثله من حركة مهمة في مواجهة الاستعمار الفرنسي وكان مؤتمر الحجير من المؤتمرات المهمة التي كانت تتوج هذا العمل المقاوم في زمن الاستعمار الفرنسي وفي هذا المؤتمر وفي غيره من المؤتمرات وفي غيره من الأحداث كان للسيد عبد الحسين شرف الدين كلاً واضحاً بالنسبة للصهيونية إذ أكد مراراً

تتميز المرجعية الدينية الشيعية بمواقفها الثابتة في رفضها للاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية والعربية لأن هذا الموقف هو الموقف العقائدي والإنساني والأخلاقي؛ فمنذ ظهور الصهيونية وقفت المرجعيات الدينية إلى جانب فلسطين، و أفنتي المراجع بالجهاد ضد الصهيونية ومشروعها . إن موقف المرجعية الدينية كان ولا يزال خصماً لداً للصهاينة، وقد صدرت عنه البيانات والرسائل والمواقف والأقوال التي تدعو إلى مقارعة العدو الصهيوني، إن ملاحظة العبارات والأقوال والتوصيفات الواردة على لسان زعماء المرجعية الدينية الشيعة حول كيان الاحتلال الغاصب ومواقفها سبّين حقيقة الموقف الصلب الذي اتخذته المرجعية الدينية من الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية، إن مواقف المرجعية الشيعية أصيلة، غير قابلة للتبديل، لأنها نابعة من تعاليم الإسلام الذي يرفض الظلم والعدوان واحتلال أراضي المسلمين أو مهادنة المستعمرين، ومنطلقها الرئيسي ثورة عاشوراء الإمام الحسينؑ؛ وللتوسع حول هذا الموضوع حاورت صحيفة الوفاق الكاتب اللبناني الدكتور حسان الزين، وكان الحوار التالي:

■ **إرهاصات بدايات المقاومة من الفكر الحسيني العاشورائي**  
يتحدث الدكتور الزين عن تجربة الفكر المقاوم ومنطلقاته من ناحية المرجعيات الدينية الإسلامية وخاصة الشيعية منها في القرن الماضي وما له من أهمية وتداعيات وإرهاصات وقوة تأثير على المقاومين وعلى المجتمع وعلى الأفراد في كل منطقة وفق الجغرافيا والحدود وفق التقاليد، وبما هو نتاج للمنظومة الفكرية الإسلامية في محاربة الظالمين المنطلقة من قواعد القرآن والشرع المقدس وخاصة حركة النبيؐ وحركة الإمام علي وأهل البيتؑ والصحابة في مواجهة الظالمين في أكثر من موقع ما قبل المدينة وما بعد المدينة في مكة والمدينة والحركات التحررية التي قادها الرسولؐ في أكثر من موقع ومساندة المظلومين أيضاً يكن هذا المظلوم إن كان مسلماً أو كان غير مسلماً، وهذا يؤكد وجود فلسفة ونظرية في الدين الإسلامي تقوم على مناصرة المظلوم أينما يكن، فهناك الكثير من الأحاديث المروية عن النبيؐ حول إنصاف حتى الظالم فكيف بالمظلوم، هذه الفلسفة وهذه الاستراتيجية الموجودة والتي نرى لها الكثير من الدلالات والكثير من الشواهد والمصاديق في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل البيتؑ في أقوالهم وفي أفعالهم حيث يتناسب الفعل والقول، فكان إمام عليؑ مُنصفاً ناصراً منتصراً ويؤكد في أكثر من مكان على نصرة المظلوم، فالرسولؐ قبل وفاته صعد المنبر وقال من أدبته أو من كان له دية عندي أو من كان له حق عندي، وكان يؤكد على هذا الأمر مراراً وتكراراً، بعد ذلك قامت دولة الإمام علي بن أبي طالبؑ وكانت دولة إنصاف لنصرة المظلوم تابع الإمام الحسينؑ ذلك وكان تتويج العمل الإصلاحي والعمل الثوري والمنظومة الفكرية التي تطفئ على المجتمع الإسلامي وخاصة المجتمع الشيعي هي المنظومة الحسينية والفكر الحسيني عاشوراء وما تُمثله من فكر عملي ومن فكر فلسفي وما تُمثله من فلسفة واستراتيجيات مهمة عبر التاريخ، والتي كان لها تأثير وامتدادات عبر التاريخ حتى في زمان العباسيين وفي أزمنة غيرها، وكيف قضي على الحكم الأموي بسبب "يا لثارات الحسينؑ" بسبب مفهوم المظلومية ومفهوم انتصار المظلوم، تجذرت الأفكار السياسية والثقافية والتربوية في هذا المجتمع

ففي القرن الماضي كان في لبنان على سبيل المثال السيد "عبد الحسين شرف الدين" وما كان يمثله من حركة مهمة في مواجهة الاستعمار الفرنسي وكان مؤتمر الحجير من المؤتمرات المهمة التي كانت تتوج هذا العمل المقاوم في زمن الاستعمار الفرنسي وفي هذا المؤتمر وفي غيره من المؤتمرات وفي غيره من الأحداث كان للسيد عبد الحسين شرف الدين كلاً واضحاً بالنسبة للصهيونية إذ أكد مراراً